

## الأطباء الأوروبيون بالجزائر خلال العهد العثماني

### أ- فوزية لرغم<sup>(1)</sup>

شهدت الجزائر خلال العصر الحديث انفتاحا كبيرا على أوروبا، وقد تراوحت العلاقات التي ربطتها بمختلف الدول الأوروبية بين السلم تارة والحرب تارة أخرى، فكان من النتائج الطبيعية لتلك العلاقات وجود عدد معتبر من الأوروبيين بالجزائر أسرى وأحرار، ومن بينهم عدد من الأطباء، والذين حظو بتقدير الحكام ورجال الدولة، فأغدقوا عليهم بالأموال مقابل خدماتهم الطبية. فلماذا كان رجال الدولة من دايات وبايات ووزراء وغيرهم كزعماء القبائل، وحتى من السكان البسطاء يلجؤون إلى هؤلاء الأطباء، فهل في ذلك دليل على قلة عدد الأطباء بالجزائر، أم يدل على أنّ كفاءة الأطباء الجزائريين كانت أقل من كفاءة الأطباء الأوروبيين؟

لقد مسّ حيف الكتابات التاريخية هذا الموضوع بسكل جلي، فلا يمكن للباحث الخوض في غماره إلا من خلال تجميع شتات الإشارات الواردة عرضا في ثنايا المصادر العائدة إلى تلك الفترة. وبالنسبة للمادة العلمية التي توفرها المصادر المحلية حول هذا الموضوع فهي شحيحة جدا، وهذا ما يدفعنا إلى الاعتماد على مصادر غربية معاصرة دخل أصحابها الجزائر لأغراض مختلفة، وبعضهم أطباء، إلا أنّ كتابات بعض الرحالة والقساوسة والأسرى وحتى القناصل وغيرهم، تعبر عن موقف عدائي تجاه المسلمين، وهذا ما يجعل الدارس في حرج فمن جهة يجد نفسه غير قادر على الاستغناء عنها، ومن جهة لا يمكنه التسليم بأحكامها المتحيزة، وللتغلب على هذه الإشكالية وتجاوزها يتطلب التسلح بالمنهج العلمي لغلبة المعلومات المتوفرة

<sup>1</sup> - أستاذة بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة ابن خلدون - تيارت.

وفرز الغث من السمين منها، وهو الأمر الذي تسعى لتحقيقه في هذا البحث مع الاعتراف بصعوبة المهمة في ظل غياب مصادر محلية نرجع إليها للمقارنة والموازنة.

ومن الكتابات الأوربية الأكثر موضوعية وحيادا ما كتب من طرف علماء مستكشفين لم تكن لهم خلفيات معادية للوجود العثماني، ولم يتأثروا بالمخططات الاستعمارية الهادفة للسيطرة على البحر المتوسط، كما هو الحال بالنسبة لغالبية الرحالة والعلماء الألمان والاسكندنافيين والهولنديين والروس، وإلى حد ما الإنكليز والأمريكان<sup>(1)</sup>، وعليه فإننا نحظوظين لأن عددا من مصادرنا في هذا البحث كتبت بأقلام مؤلفين ممن ينتمون إلى هذه القوميات وفي مقدمتهم بعض الأطباء الألمان كالطبيب الرحالة هابنستريت، والطبيب الأسير بفايفر، ولكن هذا لا يعني أننا نسلم بما جاءوا به تسليما مطلقا.

### - الطب بالجزائر خلال العهد العثماني:

وردت العديد من الملاحظات في مصادر مختلفة حول وضعية الطب بالجزائر آنذاك وسوف نعرض بعضها، من ذلك رأي هلتون سامبسون (Hilton Sampson)<sup>(2)</sup> - الذي قضى أربع سنوات بالجزائر واختلط بسكان الريف، وصاحب أطباء الجزائر - في قوله بأن: "حرفة الطب بالجزائر يرثها الابن عن أبيه، ولهم كتب قيمة في هذا الميدان ... وهي حرفة سرية، أصحابها ماهرون في علم ثقب العظام، أو استبدال عظام الإنسان بعظام الحيوان ... ولهم دراية أيضا بطب العيون ... ونسبة نجاحهم في هذا الميدان مرتفعة رغم بساطة هذه الأدوات الجراحية، ولهم دراية فائقة بعلم النبات، يجمع الطبيب بنفسه الأعشاب من الغابة، ثم يجففها أو يقطرها، ويزنحها ويمزجها ويحضرها للمرضى"<sup>(3)</sup>.

يعتبر هلتون من الأوربيين القلائل الذين كان رأيهم إيجابيا عن الطب بالجزائر، أما غالبية العظمى من الأوربيين الذين زاروا الجزائر - خلال فترات مختلفة من الوجود العثماني فقد ذهبوا إلى أنّ الطب كان متخلفا وبدائيا، من ذلك وليام شالير قنصل أمريكا بالجزائر، الذي ذهب إلى أنه لا جدوى من الحديث عن حالة العلوم بالجزائر "حيث أنها غير موجودة، ومتى كانت موجودة، فهي محتقرة، بل إنّ الطب نفسه لا يوجد من يدعيه، هذا إذا استثنينا المشعوذين وكتاب الحروز..."<sup>(4)</sup>.

ووصف القسيس لابي بوارى (L'Abbé poiret) طريقة العلاج عند سكان الريف في شرق الجزائر  
بكونها تقليدية جدا وبعيدة عن كونها صحيحة، ومنها الحجامة التي يعتقد بفاعليتها كثيرا سكان المنطقة في  
القالة، كما كانوا يؤمنون بالخرافات والتمايم التي يعطيها لهم المرابطون لعلاج مرضاهم<sup>(5)</sup>.

وتحمل بعض الآراء مبالغة كبيرة في وصف وضعية الطب، حتى وإن طغت على كتابات أصحابها  
الموضوعية كترأى الطبيب والرحالة الألماني هابنسترايت، الذي حضر للداي عبيدي باشا (1724-1732م)  
دواء واحدا بطلب منه، وعلل ذلك بقوله: "ما دمت لا أستطيع أن أقنع هؤلاء الناس، بأن كل مرض من  
الأمراض يتطلب دواءً خاصا، فهم يعتقدون بأن دواء واحدا كفيلا أن يشفي كل الحالات المرضية"<sup>(6)</sup>.

لقد نقلت النصوص السابقة حتى يقف القارئ عليها بنفسه، سيما وأنها لا نستطيع أن نتجاهل هذه  
الآراء تجاهلا كلياً لمعاوضة بعض المصادر المحلية لها، بحيث لا يختلف رأي حمدان خوجة عن الآراء السابقة  
حينما يتطرق إلى التداوي في البوادي عند سكان السهول<sup>(7)</sup>، قائلا بأن العلاج: "عبارة عن نباتات معروفة  
بنجاعتها لأن السكان هنا لا يعرفون مبادئ التطبيب، وبالنسبة لهم فالطبيعة وحدها هي التي تصنع  
العلاج، وتسئد أنه في مثل هذه الحالات يدجؤون إلى الحمية"<sup>(8)</sup>.

ولعل أصدق تعبير عن وضع الطب والأطباء بالجزائر هو ما ذهب إليه الطبيب الرحالة الإنجليزي  
توماس شو (Dr thomas Shaw)<sup>(9)</sup> الذي أكد على تدهور وضعية الطب بالجزائر، كما في بقية الولايات  
العثمانية، وخلص إلى القول: بأن "الطب لم يكن يسير وفق قوانين معينة أو مدارس، بل كان يعتمد على  
ما ألقاه الغُرف"<sup>(10)</sup>، ولكنه اعترف بقدره بعض الأطباء الجزائريين على المعالجة ببعض الأعشاب<sup>(11)</sup>.

#### - الأطباء الجزائريون:

كان عدد المشتغلين بالطب في الجزائر قليلا؛ إلى الحد الذي جعل بعض الرحالة الأوربيين يجزم بعدم  
وجود طبيب واحد بالجزائر، من ذلك لوجي دوتاسي (Laugier de Tassy)، الذي زار الجزائر سنة  
1724م، وذهب إلى أن: "العرب لا يعرفون طبيا غير الطبيعة"، وبأنه "لا يوجد أي طبيب لا في مدينة  
الجزائر، ولا في أي ناحية من المملكة"<sup>(12)</sup>.

ويشير الدكتور شاو إلى أنه لم ير: "إلا عددا قليلا من الأطباء الذين يعلمون بالرازي وابن رشد وأطباء عرب قدماء آخرون، والترجمة الاسبانية لديوسكوريد هو تقريبا الكتاب الوحيد الذي قرأوه"<sup>(13)</sup>، وكان شاو قد التقى بطبيب الداي ووصفه بكونه رئيس بقية الأطباء.

إن أقوال هؤلاء لا تتعارض مع ما ذهب إليه الدكتور ناصر الدين سعيدوني في قوله: "أن مهنة الطب تكاد تتمسك في العهد العثماني، في الموانئ البحرية ومنها ميناء مدينة الجزائر، على بعض الأطباء الأوربيين الذين اعتادوا معالجة بعض الشخصيات واكتسبوا من جراء ذلك احتراماً وتقديراً لمعارفهم الطبية"<sup>(14)</sup>. والحقيقة أنه لم يكن بالجزائر أطباء بمستوى كفاءة الأطباء الأوربيين المتخرجين من المدارس الطبية، إنما كان بها بعض من يمارسون الطب، الذين يفضل بعض الباحثين تسميهم بالمتطببين وأطباء الأعشاب أو المداوين، وحتى هؤلاء كان عددهم محدوداً على أغلب الظن.

ولعل أهم سبب لقلة الأطباء بالجزائر هو إهمال المؤسسات التعليمية بالجزائر تدريس العلوم العقلية بما فيها الطب، وهو ما أدى إلى قلة المشتغلين بهذه لعلوم، مع العلم أن الجزائر لم تنفرد بهذا الحال بل كان هذا حال كل العالم الإسلامي آنذاك<sup>(15)</sup>، وعلى سبيل المثال لا الحصر ما لاحظته ابن حمادوش بمدينة تيطوان بالمغرب الأقصى: "... وأما في الطب، فلم أر من يبحث عنه فضلا عن ما يتقنه في تيطوان..."<sup>(16)</sup>.

ويعد الشيخ عبد الرزاق بن محمد بن محمد بن حمادوش المتوفى سنة 1197 هـ أشهر طبيب في الجزائر خلال العهد العثماني، وقد قامت دراسته للطب على جهوده الخاصة، فلا نجد من أساتذته في الطب إلا بعض العشابين<sup>(17)</sup>، وقد تميز عن معاصريه باهتمامه بالعلوم العقلية، بحيث اهتم بالطب والصيدلة والفلك والحساب وغيرها.

ألف عبد الرزاق بن حمادوش كتاباً في الطب<sup>(18)</sup> وصنع مستحضرات طبية، وقد نوه بمكانته العديد من المؤرخين الجزائريين والغربيين كالمؤرخ أبو القاسم سعد الذي يرى بأنه: "جاء بعد ظلام دامس أصاب الحضارة الإسلامية"، ويضيف قائلاً: "... وإذا عرفنا أنه كان في القرن الثاني عشر (18م) معاصر لعهد الاستنارة في أوروبا، أدركنا أنه كان عندئذ أقرب في تفكيره واهتماماته إلى العلماء الأوربيين منه إلى العلماء المسلمين الخاملين"<sup>(19)</sup>.

كما نوه به كل من غبريال كولان (Gabriel Colin) ولوسيان ليكلير (Lucien Leclerc)، وقد اعتبره هذا الأخير آخر ممثل للطب العربي لانهزله وتميزه عن غيره من الأطباء والقائمون على العلاج والذين مارسوا حرفة التداوي في الجزائر العثمانية<sup>(20)</sup>.

هذا، وقد وجد بالجزائر أطباء ومتطبين آخرون منهم أحمد بن بلقاسم الذي كان جراحا ماهرا من منطقة تافرن، وقد عاصر أحمد باي قسنطينة، وكان الحكام العثمانيون يلجأون إليه في عمليات جراحية عديدة، ومنهم من ترك مؤلفات في الطب كالشيخ أحمد بن قاسم بن محمد ساسي البوني والمتطب محمد بن علي باديس الصنهاجي<sup>(21)</sup>.

وقد كان بالجزائر موظف يدعى الباش جراح، وهو الذي كان يتكفل بصحة الحكام وأعيان الأتراك والأسرى، وكان يجري بعض العمليات الجراحية، كما كان يشرف على صيدلية الجنينة، وعلى الأطباء الأتراك الذين كانوا يأتون من مصر أو تركيا للتكفل بصحة الانكشاريين<sup>(22)</sup>.

ومما لا شك فيه أن بعض الأطباء الجزائريين حظوا بمكانة مرموقة لدى الحكام لخدماتهم الطبية التي كانوا يقدمونها لهم، ونستدل على ذلك بوجود ضريح لطبيب عرف بضريح سيدي الطبيب، يقع أعلى ضريح سيدي، عند الرحمن الثعالبي، ويبدو أن صاحبه كان طبيا للداي في زمنه، مما دفع الداى بعد موته إلى بناء الضريح له لتخليده، وقد كانت حوالي الضريح ألواح وضعتها فيما بعد السلطات الاستعمارية في المتحف بالجزائر كتب على إحداها التالي: "... هذا قبر العبد الذليل ... محمد بن سليمان الطبيب بن عبد الله الراجي رحمة المولى الجليل الساكن روضة الخليل محمد بن سليمان طبيب كل عليل، محمد بن سليمان الطبيب المعلوم"<sup>(23)</sup>.

والواقع أنه على الرغم من عدم وجود أطباء متخرجين من مدارس طبية، فقد وجد بعض الأطباء التقليديين المهرة، الذين أحرزوا نجاحا في معالجة بعض الأمراض بالطرق التقليدية البسيطة التي يعرفونها، ولكن كان عددهم قليلا، ويبدو أن كفاءتهم لم تبلغ كفاءة الأطباء الأوروبيين المتخرجين من الجامعات المتخصصة في الطب.

- الأطباء الأوروبيين بالجزائر:

نظرا لقلّة المتطّبين بالجزائر وثق الجزائريون حكاما ومحكومين بالأطباء الأوربيين، الذين اكتسبوا احتراماً وتقديراً لمعارفهم الطبية، وذلك ما أكده هابنسترايت بقوله بأن الجزائريين " يحملون نظرة جيدة عن كفاءة الأطباء النصارى في هذا الشأن، ويدعوهم بالعلماء تعبيرا عن التقدير الخاص الذي يحضون به لديهم" (24).

كان دايات الجزائر وكبار المسؤولين في الدولة يهتمون بشؤون صحتهم الخاصة؛ ويتخذون لهم أطباء كلما رجعوا إلى ذلك سيلا، وكانوا حريصين على اتخاذ أضياء أكفاء، ولهذا لجأوا إلى الأطباء الأوربيين، ومن الدايات الذين استفادوا من خدمات الأطباء الأوربيين الداى علي خوجة (1817-1818م) الذي أتى بالطبيب الإسباني خوان فرنندز دي لاس هراس (Dr Juan Fernandez de las Heras) بعد اشتداد وطأة الطاعون في جانفي 1818م، كما كان لبعض البايات أطباء يرعون صحتهم من ذلك باي قسنطينة الباي قليان حسين بوكمية (1713-1736م) الذي كان له عام 1713م طبيب هولندي يسمى سانسون (Sanson) يشرف على صحته (25).

ونجد في رسالة لأحمد باي القلي باي قسنطينة (1756-1771م) لمدير الباستيون بالقالة في أوائل رجب 1185هـ (1771م) يطلب طبيا "... ابعث لنا الطبيب الذي هو عندكم للحاجة به، ويأتي معه بجميع الأدوية الصالحة لجميع الأمراض..." (26). كما وجه صالح باي قسنطينة (1771-1792م) لنفس الغاية رسالة إلى مقر الشركة الفرنسية في مرسيليا يطلب طبيا كان يعمل في الباستيون، ثم انتقل إلى فرنسا، جاء في رسالته المؤرخة بأوائل رمضان 1201هـ (1786م): "... وميلان المذكور هو الذي كان طبيا في القالة سابقا لأننا نعرفه طبيب جيد، وإلا غيره من الأطباء الملاح غاية..."

كان هؤلاء الأطباء يحصلون على مبالغ مالية هامة مقابل خدماتهم الطبية، بحيث كان أحد الزعماء بالشرق الجزائري وهو الشيخ عبد الله شيخ منطقة المعزولة بضواحي القالة يدفع ما قيمته 250 جنيه كل ثلاثة أشهر مقابل استفادته هو وعائلته من خدمات أطباء البستيون.

كما تسلم هابنسترايت الطبيب الرحالة الألماني بالإضافة إلى تسهيل مهمته العلمية التي جاء من أجلها إلى الجزائر " ثلاثة أكياس من النقود من صنف القروش" (27) من طرف الداى عبيد باشا (1724-1732م) مقابل خدماته الطبية له ولابنه آغا العرب، ووضه هابنسترايت المبلغ المقدم له: " وبالفعل كانت هذه الهدية

جديرة بمقام من قدمها وهو الداى". وفي موضع آخر يقارن هابنسترايت ما كان يحصل عليه من أموال بكيس من القروش أعطي لأحد الجنود الأتراك "... وهو مبلغ غير ذي بال، إذا ما قورن بما أحصل عليه كطبيب أجنبي يرمى صحة الداى"<sup>(28)</sup>.

وقد تدل العبارة الأخيرة على أنّ الداى اتخذ هابنسترايت طبيبه الخاص على الرغم من قصر المدة التي قضاهما في الجزائر والتي لم تتجاوز عشرة أشهر، والتي قضى جلها خارج مدينة الجزائر. وتجدر الإشارة إلى أن هابنسترايت تسلم من الداى مقابل دواء حضره له، عندما همّ بمغادرة الجزائر نهائيا ثلاثة أكياس من القروش وهي التي أشرنا إليها آنفا.

كان سكان الجزائر عامة يعرفون تفوق الأوربيين في ميدان الطب، ولهذا كانوا يحترمهم ويسعون في الحصول على خدماتهم الطبية، فقد ذكر القسيس بوارى: "أن سكان القالة كانوا يقدرّون الأطباء الأوربيين الذين يتواجدون بالصدفة عندهم، ويستقبلونهم بحفاوة؛ وأنهم بمجرد رؤيتهم لطبيب أوربي يتهافتون عليه لطلب الكشف عليهم حتى ولو كانوا أصحاء؛ رغبة منهم في عدم تفويت الفرصة"<sup>(29)</sup>، وهو ما صادفه بنفسه عندما قام بزيارة شيخ المعزولة علي باي برفقة جراح البستيون؛ حيث يقول في ذلك: "بمجرد أن علم الأهالي بذلك أحاطت بنا مجموعة كبيرة منهم وطلبوا منا أن نكشف عليهم، فذهبنا إلى خيمهم واحدا واحدا، ولكنهم كانوا كثيرين فوجدت نفسي مجبرا أنا أيضا أن أشارك الطبيب في عمليات الفحص بعدما أفهمهم الطبيب أنني على نفس درجة كفاءته"<sup>(30)</sup>.

إنّ ما ذهب إليه بوارى فيه شيء من المبالغة شأن كتابات القساوسة، ولكن ما لا يمكن رفضه هو أن سكان الجزائر كانوا يُقبلون على الأطباء الأوربيين، وذلك ما أكدّه الطبيب الرحالة هابنسترايت الموصوف بالموضوعية<sup>(31)</sup> في عدة مواضع من رحلته<sup>(32)</sup>.

ورد هابنسترايت إلى الجزائر في مهمة علمية وظل بها لمدة عشرة أشهر، وقد كان هو والوفد الذي يرافقه في الرحلة محل تقدير من طرف سكان الجزائر، ويعلل هابنسترايت ذلك بكونهم أجانب يمتنعون حرفة الطب: "أصبحنا محل تقدير لكوننا أجانب ولأننا نمتنع حرفة الطب أو التداوي بالأعشاب، فقد اعتادوا على تسميتنا بالباربيرو، ومرد ذلك أنهم كانوا يروننا في أغلب الأحيان نحمل في أيدينا زهورا ونباتات"<sup>(33)</sup>.

كان سكان الجزائر يطلقون على الأطباء الأوربيين كلمة باربيرو (Barbiero) وذلك ما أكدته هابنسترايت في عدة مواضع من رحلته، وكلمة باربيرو في لغة الفرانكا<sup>(34)</sup> يقصد بها المشتغل بالطب أو المداوي بالأعشاب، وغالبا ما يرادفها في اللسان الدارج كلمتا حلاق أو مزين لارتباط ممارسة الطب بالحجامة<sup>(35)</sup>.

ويمكن أن نصنف الأطباء الأوربيين بالجزائر إلى أربعة أصناف:

- الأطباء الأحرار الذين كانوا يدخلون في خدمة كبار المسؤولين بالجزائر.
- الأطباء الموظفين بالمؤسسات والشركات الأوربية بالجزائر.
- الأطباء الرحالة الذين كانوا يزورون الجزائر لأغراض علمية.
- الأطباء الأوربيون الأسرى بالجزائر.

أ- الأطباء الأوربيون الأحرار:

استقر بعض الأطباء الأوربيين بالجزائر ودخلوا في خدمة كبار رجال الدولة مقابل مبالغ مالية طائلة، من ذلك ما أشار إليه الأسير القنصل الأمريكي بالجزائر كاثكارت، بحيث ورد باي قسنطينة في شهر ماي 1788م إلى مدينة الجزائر حاملا الضريبة التي يقدمها البايات مرة كل ثلاث سنوات، وهي المعروفة في المصادر المحلية بالدنوش، وكان من ضمن المرافقين للباي في رحلته هذه " طبيب مسيحي حر"، "إنه شاب اسمه جان سي. وهو قريب لمونص جيمون أحد كبار التجار الفرنسيين هنا، وقد كان في خدمة الباي مدة تسع سنين، حيث يكسب مبالغ مالية طائلة سنويا، وهو يتمتع بحظوة خاصة لدى الباي"<sup>(36)</sup>.

والمعلوم أن باي قسنطينة في السنة المذكورة هو صالح باي، الذي ولاه الداوي محمد باشا ولايتها سنة 1771م، وظل بها إلى أن عزل بعد وفاة الداوي 1792م.

تنبغي الإشارة إلى أن المصادر لم تسعنا لمعرفة ما إذا كان اتخاذ المسؤولين للأطباء الأوربيين الأحرار أمرا شائعا أم أنه اقتصر على بعض الشخصيات، ذلك أن هناك إشارات عابرة لأطباء أوربيين ولكن يتعسر علينا في بعض الأحيان معرفة وضعيتهم في الجزائر من كونهم أحرارا أو أسرى.

ب- الأطباء الأوربيون الموظفون في المؤسسات الأوربية بالجزائر:

كان الأطباء من ضمن الموظفين التابعين لبعض المؤسسات الأوربية كالقنصليات والشركات التجارية مثل الباسطيون، الذي كان أطباؤه بما فيهم الجراحون يقدمون خدماتهم الطبية لجميع المرضى في مناطق الامتيازات.

كان السكان المجاورين للباسطيون يستفيدون من خدمات أطباء البستيون حيث كان يسمح لهم - إلى جانب تطبيبهم للمرضى من موظفي الشركة - بأن يكون لهم زبائن من سكان مناطق الامتيازات، فقد كان طبيب البستيون غالبا ما يُرسل في طلبه من طرف رؤساء القبائل المجاورة، بل وحتى من طرف باي قسنطينة شخصيا أو كبار موظفيه، وهو ما أشارت إليه عدة رسائل<sup>(37)</sup> بعث بها بايات قسنطينة وعدد من زعماء القبائل إلى مدير الباسطيون يطلبون فيها إفاد أطباء لمعالجة أنفسهم أو لمعالجة أبنائهم.

تعود عدد من هذه الرسائل إلى صالح باي قسنطينة من ذلك رسالته إلى وكيل الباسطيون عام 1774م، وأخرى إلى وكيل الباسطيون عام 1775م، التي يطلب فيها إرسال الطبيب الفرنسي المقيم في القالة ليعالج ولده، كما وجه صالح باي رسالة إلى وكيل الباسطيون عام 1787م يطلب إرسال الطبيب الفرنسي المقيم في القالة إلى قسنطينة.

وهناك رسائل من صالح باي يطلب أطباء لمعالجة بعض موظفيه، من ذلك رسالتين إلى وكيل الباسطيون إحداها مؤرخة بعام 1782م، والأخرى بعام 1785م يطلب في كليهما إرسال الطبيب الفرنسي المقيم في القالة إلى قسنطينة ليعالج أحد موظفيه الأولى لمعالجة الحاج مسعود بن زكري، وفي الثانية يطلب الطبيب ليعالج الحاج محمد بوعباية قائد الزمالة في قسنطينة<sup>(38)</sup>.

وهناك رسائل بعث بها بعض الشخصيات المهمة إلى وكيل الباسطيون يطلبون إفائهم بأطباء، من ذلك رسالة الحاج حسين بن عبد الله الخليفة إلى وكيل الباسطيون عام 1789م يطلب إرسال الطبيب الفرنسي المقيم بالقالة إلى قسنطينة ليعالج نفسه<sup>(39)</sup>.

وتعود خمس رسائل إلى الشيخ علي باي شيخ المعزولة بن الحاج عبد الله<sup>(40)</sup> إلى وكيل الباسطيون، من ذلك أربعة رسائل إلى وكيل الباسطيون عام 1792م في ثلاثة منها طلب الأطباء لمعالجة أبنائه، ففي إحداها

أرسل في طلب الطبيب الفرنسي المقيم في القالة ليعالج ولده التومي، وفي أخرى طلب إرسال الطبيب الفرنسي المقيم في القالة ليعالج ولده حسين<sup>(41)</sup>.

وقد حدثت بعض المشاكل بسبب تردد الأطباء الأوروبيين على منازل السكان لتقدم خدماتهم الطبية، وذلك ما نجده في رسالة صالح باي إلى وكيل الباستيون عام 1779م، التي ضمنها أمرا للفرنسيين بعدم دخول ديار المسلمين، لإقدام قائد عنابة على قتل امرأة بسبب اتهامها بالفاحشة مع طبيب القالة الفرنسي<sup>(42)</sup>.

إنّ ما تحمله الرسالة الأخيرة ليس غريبا لغيرة الجزائري المفرطة على المرأة، سيما من الأوربي حتى ولو كان طبيبا وهذا ما أورده هابنسترايت: "وقد ترجاني أحد الأتراك من ذوي المكانة المتميزة أن أعالج زوجته، وعندما طلبت منه أن أرى المريضة أجابني من الأفضل أن تموت على أن يراها أحد"<sup>(43)</sup>.

ويبدو أنّ الصلة التي كانت تجمع السكان بالأطباء الأوروبيين كانت قوية إلى الحد الذي جعل بعض الأطباء يعتقدون الإسلام، فقد تلقى إبراهيم وكيل الحرج في الفاتح من رجب 1240هـ (1824م) رسالتان ترد الإشارة في كليهما إلى أنّ طبيب أوربي يقيم في عنابة ويتردد على قسنطينة لمعالجة المرضى يعتقد الإسلام في قسنطينة<sup>(44)</sup>.

ومن أشهر الأطباء الأوروبيين الموظفين في الجزائر العثمانية الكاهن الانجليزي شاو، الذين كان يعمل في القنصلية البريطانية بالجزائر، ولكن ليس لدينا ما يثبت تقديمه لخدمات طبية للجزائريين، ولا ما ينف ذلك، إلا أنّ مكوثه بالجزائر مدة طويلة تربو على اثني عشرة سنة تجعلنا لا نستبعد أن يكون هو الآخر قد قدم خدمات طبية لرجال الدولة في الجزائر.

### ج- الأطباء الأوروبيون الرحالة:

زار الجزائر خلال العهد المدروس عدد من الأطباء الأوروبيين كلفوا بمهام علمية، من ذلك الطبيب وعالم النبات الألماني هابنسترايت<sup>(45)</sup> الذي دخل الجزائر سنة 1732م، مكلفا من طرف ملك بولونيا برئاسة بعثة علمية إلى شمال إفريقيا، للتعرف عن كتب على نباتات المنطقة، والعمل على جمع عينات منها لفائدة القصر الملكي<sup>(46)</sup>.

رحلة هابنسترايت مهمة من ناحيتين من حيث المادة العلمية التي تقدمها سيما لموضوعنا، ومن حيث اتصاف صاحبها بالموضوعية، وقد أكد على الصفة الأخيرة ناصر الدين سعيدوني الذي وصفها بكونها: "أقرب ما تكون إلى الاعتدال والموضوعية والنظرة المتزنة بالمقارنة مع باقي الكتابات المعاصرة لها..."، وبأنها جاءت وصفا دقيقا لأوضاع تلك الأقطار (الإيالات المغربية) وتعبيرا صادقا عن آرائه، إذ لم يهتم فيما سجله إلا برصد الواقع كما تعرّف عليه<sup>(47)</sup>.

أما من حيث قيمة المادة العلمية التي تقدمها لموضوع الطب فيتجلى ذلك بالمقارنة مع رحلة أخرى تزامنت معها وهي رحلة الطبيب بايسنال (Jean-André peyssonnel) المغنونة ب: "رحلة في آيالي تونس والجزائر"، بحيث زار هذا الرحالة الجزائر خلال سنتي: 1724م - 1725م، وعلى الرغم من أنه طبيب إلا أنه لم يول الطب أي اهتمام.

وأول ما فعله هابنسترايت في الجزائر هو مقابلته داي الجزائر عبيد باشا، وإعلامه بالمهمة التي قدم من أجلها إلى الجزائر، وهي القيام بأبحاث علمية يجمع فيها النباتات والحيوانات النادرة، فأجاب الداوي الوفد العلمي بأنّ بلاده مفتوحة لهم في رحلتهم، وأنهم يستطيعون الاعتماد على حمايته<sup>(48)</sup>.

رسم هابنسترايت لنفسه خطة تسهل عليه مهمته التي جاء من أجلها، من خلال التقرب من رجال الدولة والحرص على استرضائهم، وأيقن بأنّه من المضر لمشاريعه في البحث رفض وصف الأدوية لبعض كبار الشخصيات وخاصة آغا العرب، وهو ابن الداوي - الذي عرف المفعول الجيد للوصفات التي كان يقوم بتحضيرها له - وقد قدم له الآغا هدايا تتمثل في بعض الحيوانات النادرة، وأعطى أوامره للبحث له عن حيوانات نادرة أخرى، ونفس السلوك أبداه معه الآخرون: "فكلما قدمت خدمة لأحد إلا وحاول أن يظهر لي عرفانه بالجميل بتقديم هدايا كالتّي قدمها لي الآغا..."<sup>(49)</sup>. كما سمح آغا العرب لهبسترايت بمرافقته في رحلته الاعتيادية مع الحملة داخل البلاد لجمع الضرائب من الفلاحين<sup>(50)</sup>.

ولما همّ هابنسترايت بمغادرة الجزائر شكر الداوي على مساعداته، وطلب منه الإذن في مواصلة سفره نحو تونس، فأذن له " شريطة أن يترك له الأدوية التي كان لها مفعول في معالجة ابنه، وتعليمه كيفية استعمالها، فقام هابنسترايت بتحضيرها له " وسلم الوصفة الخاصة بها لحرسه الشخصي ليتمكن من

استخدامها في معالجة ما يلزم به وبأصدقائه من الأمراض...<sup>(51)</sup> " وقد كافأه الداوي بـ " ثلاثة أكياس من النقود من صنف القروش".

وهكذا فإن معارف هابنسترايت الطبية ساعدته على النجاح في مهمته، ومكنته من اكتساب صداقة الداوي وابنه آغا العرب. وفي رسالة هابنسترايت الموجهة إلى الملك والمؤرخة بأول جوان 1732: " إنَّ رغبتكم في الحصول على حيوانات نادرة وخاصة منها التي لا زالت على قيد الحياة تتطلب السفر إلى الأقاليم الجنوبية لهذا البلد (مقاطعة التيطري)... فكانت مناسبة سعيدة بالنسبة لي أن يقوم آغا الصبائحية الذي كنت قد عاجلته بجولته الاعتيادية داخل البلاد لجمع الضرائب من الفلاحين... وبالفعل فقد تمكنت من الحصول على إذن الداوي بمصاحبة المحلة، وقد زودني برسالة موجهة إلى كل الحكام الخاضعين لسلطته تطلب منهم أن يوفر لي رفقة تقوم بحمايتي أثناء قيامي بأبحائي، لقد غادرت مدينة الجزائر في 22 أبريل ( 1732 ) مع بعض من رافقوني في رحلتي، وقد أرسل معي الداوي دليلا وفارسا ( صبايحي ) ليكونا في صحبتي...".  
ومن رافقه في رحلته: " الطبيب شاو (Dr Shaw) كاهن القنصلية الإنجليزية الذي تحصل هو أيضا على رخصة السفر "<sup>(52)</sup>.

وترد في رحلة هابنسترايت نصوصا مهمة حول اتصال السكان به، منها: " وقد لاحظت أنَّ حمل باقة من النباتات في اليد هو بمثابة جواز مرور معروف ووسيلة ممتازة لضمان السلامة، لأنَّ من يذهب للبحث عن النباتات يُنظر إليه هناك بأنّه متطبب أو مداوي بالأعشاب... وفي هذا الصدد قدمت خدمات للمرضى الذين عرضوا علي حسبما أمكنني ذلك، وقد استعملت في ذلك بعض النباتات الشائعة التي تنمو بناحيتهم وأوضحت لهم كيفية استعمالها، فقد كان يدفعني إلى ذلك إيماني بأن نعمة الخالق جعلت الدواء الذي يحتاجونه في شكل نباتات تنمو عند أقدامهم، وكانت أتعابي كطبيب في هذه المعالجات لا تتجاوز غالبا تقديم كأس من الماء البارد أو تناول قليل من الحليب اللذيذ... "<sup>(53)</sup>.

هذا وقد تزامنت الفترة التي زار فيها هابنسترايت الجزائر مع الاحتلال الاسباني الثاني لوهرا، ولهذا كان الأوروبيون يتخوفون من رد فعل الأهالي، ويتخوفون من الخروج بدون حراسة، بل أن هابنسترايت كان يقدم خدمات للسكان كعمل إنساني من جهة وللتودد إليهم حفاظ على حياته من جهة أخرى، وذلك ما

نلمسه في هذه الفقرة: "... هذا وقد اتخذت لنفسى قاعدة في ممارسة الطب في البلدان غير المتحضرة أن لا أرفض تقديم العون لأي شخص ما دمت قادرا عليه، لأنّ الامتناع موقف يتصف بالخطورة، بينما الإقدام على المعالجة دون ترو يعتبر حماسا واندفاع غير محسوب العواقب، وهذا ما تطلب مني القول عند بداية معالجة المريض بأن نتيجة علاجه غير أكيدة، ودفعني إلى التستر عن مهنتي كلما أمكنني ذلك، وإن مزاولتي لهذه المهنة بنجاح كانت من أجل الحفاظ على حياتي، وليس من أجل كسب النقود".

يبين هابنسترايت في عدة مواضع من رحلته احترام سكان الجزائر له لأنه طبيب، وبأنه كان يرد على حسن ضيافتهم بأن يقدم لهم بعض الأدوية: "سكان تلك الجهات من بربر وعرب كانوا يخصوننا بكميات أوفر من الطعام ... ولكوني طبيب ... فقد كان الطعام يقدم لي مباشرة بعد الآغا، وقد كلفتني هذه المعاملة بعض الأدوية التي كنت قد حضرتها مسبقا، فقد كنت أقوم بتوزيعها على المرضى من جنود الحملة أو سكان تلك البلاد" (54).

وقد أشاد هابنسترايت بحسن الضيافة التي حظي هو ورفاقه في بضواحي عنابة عندما قصد شيخ أحد الدواوير للمبيت: "استطعنا النوم بأمان لأنّ حسن الضيافة إحدى خصال العرب، فيسهرون جيدا على حراسة الأجانب ... وبالمناسبة وزعنا على مستضيفينا بعض الأدوية التي طلبوها منا" (55).

#### د- الأطباء الأوروبيون الأسرى:

يعد الطبيب أو الطبيب الجراح - أو الباش جراح بالنسبة للأبالات العثمانية- عنصرا أساسيا في طاقم السفينة، وعندما تقع السفينة في الأسر تصبح غنيمة بما تحمله من سلع وأشخاص بمختلف مستوياتهم، ومن ضمنهم الأطباء.

بالنسبة للسفن الأوربية التي كان يتم أسرها من طرف البحارة الجزائريين يكون الأطباء من بين الشخصيات التي يتم بيعها أو افتدائها بثمن معتبر، وذلك ما أكدته هابنسترايت في قوله: "تشكل تجارة الأسرى المسيحيين أحد مصادر الدخل الرئيسية، فكل أسير له قيمة محددة حسب مكانته، فالقابودان وهو قائد السفينة، يتطلب إطلاق سراحه دفع ألفين وخمسمائة قرش، بينما معاونه وكذلك صانع السفن أو الجراح فيدفع عن كل واحد منهم ألف وخمسمائة قرش" (56).

ومعظم الأطباء الذين اتخذهم الدايات والمسؤولين أطباء خاصين بهم كانوا قد حُمِلوا إلى الجزائر كأُسرى عند النزاع البحري، والأمثلة على ذلك كثيرة: نذكر أنَّ الباشا بابا علي كان له طبيب جراح فرنسي وقع أسيرا<sup>(57)</sup>، كما اشترى صالح باي في 22 شوال 1195هـ (1780م) طبيباً إيطالياً يدعى باسكوال غاميزو (Pascual Gamizo) بألف محبوب وهي تعادل حوالي 4000 فرنك، وكان هذا الأخير على متن مركب حربي نابوليتاني عندما وقع أسيراً في شوال 1191هـ/1777م ضمن أسرى الحاج محمد الإسلامي رايس<sup>(58)</sup>.

وقد كان الجراحون الأسرى يجبرون على تنفيذ عقوبة قطع أطراف الجرم، وذلك ما يشير هابنسترايت من أنَّ من الجرائم الكبرى كالإنقاص من العملة: "اليهودي أو النصراني الذي ينقص من العملة تقطع يديه ويشنق ويُطاف بجثته على ظهر حمار في أرجاء المدينة، وهذه العقوبة نفذت حديثاً وأرغم الجراحون من الأسرى على القيام بالإجراءات المتعلقة بها..."<sup>(59)</sup>.

ونجد في كتاب "التشريفات" قائمة تضم أسماء عدد من الأسرى من الضباط والأطباء منهم أحد عشر طبيباً وجراحاً، وللأسف فإن كتاب التشريفات لم يخبرنا إلا عن بيع واحد منهم لصالح باي وهو الذي أشرنا إليه، وسكت عن البقية، منهم عدد من الأطباء البرتغاليين كجوزيف ألبرت (Joseph Albert) الذي سجن سنة 1180هـ (1766م)، وفرانسيسكو فينيارد (Francisco Vignard) الذي سجن في 9 ذي الحجة 1214هـ (1799م)<sup>(60)</sup>.

وفي عام 1200هـ (1785م) أسر عصمان رايس دراو وصالح رايس الجيجلي الريان الليفوري خوسيفو مونتارد (Josefo Montardi) وعدد من معاونيه، ومنهم طبيبه دونستيا جيكومو (Donastia Giccomo-Missavali)، ومن ضمن أسرى حميدو في رجب 1217هـ (1802م) طبيب إسباني اسمه خواكينو أونونيو داكيتو (Juaquino Antonio Dakito)<sup>(61)</sup>.

ومن بين الأطباء الأسرى بالجزائر الألماني سيمون بفايفر صاحب كتاب "مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر" الذي جيء به أسيراً إلى الجزائر سنة 1825م، وظل أسيراً بها مدة خمس سنوات بحيث حرر وأطلق سراحه عند الاحتلال الفرنسي.

عمل بفايفر في مطبخ قصر الخزاناجي لمدة سنتين، ولما علم هذا الأخير بما كان تعلمه بفايفر في بلده؛ جعله طبيبه الخاص بعدما تمكن من معالجته<sup>(62)</sup>، مع أن بفايفر لم يكن يعرف كثيرا من فروع الطب، وذلك ما يؤكد أنه هو بنفسه: "كنت أعرف أن كثيرا من فروع الطب مجهولة لدي تماما، وأن خبرتي القليلة لا تسمح لي بأن أحمل لقب طبيب..."<sup>(63)</sup>.

ويذكر بفايفر بأن الوزير سأله عن المهنة التي تعلمها سابقا في أوروبا فأجابته بأنه تعلم "فن الجراحة، فسّر بذلك سرورا كبيرا"، وقال له: "إنها مهنة تدر الأموال على صاحبها خاصة في الجزائر، حيث لا يوجد طبيب ماهر بعد أن انتهى فن الطب العربي"<sup>(64)</sup>.

كانت مهمة بفايفر "تنحصر في معالجة الوزير وغيره من أفراد القصر إذا أصيبوا بمرض"... وكان الداوي (حسين داي) الذي لم يكن له طبيب خاص يستشير، إما بواسطة الوزير أو بواسطة أحد خدامه كلما حلت به وعكة"، ثم في فترة لاحقة تمكن من التعرف عليه شخصيا.

وباتخاذ بفايفر طبيبا خاصا احتل مكانة مرموقة في القصر، وتغيرت حياته تماما، وقد عبر عن ذلك بقوله: "ومنذ تلك اللحظة أصبحت كأني انتقلت إلى حياة أخرى، فترك مغارة الفئران، وسكنت غرفتين كبيرتين في القصر"، وكانت الغرفتين مزينتين ومجهزتين بالأثاث والزراي، وارتدى بفايفر ملابس رفيعة وفتح بالمأكولات اللذيذة، وكلف بخدمته خادمان، ولخص وضعه الجديد بقوله: "ولم أكن أفقد شيئا إلا حريتي..."

أحضر الخزاناجي لبفايفر بأمر من الداوي صيدلية صغيرة، وآلات الجراحة من باريس، إلا الكتب فلم يحضرها له<sup>(65)</sup>، وعندما ألح على الوزير في حاجته إلى الكتب سيما الكتب الخاصة بالجراحة، أجابه بأنه لا يستطيع أن يحضر له شيئا منها، إلا إذا كان في حاجة إلى كتب عربية أو فارسية أو تركية فإنه يحضر له الكثير منها، وأرسل له في الحال معلما تركيا لتعليمه مبادئ اللغة العربية والتركية<sup>(66)</sup>.

كسب بفايفر ثقة الوزير بفضل تفانيه في خدمته، بدليل قوله محدثا نفسه: "وفي إحدى المرات قلت لنفسي أنه على استعداد للاستجابة لأي رجاء آخر، وأنه سيطلق سراحي بمجرد أن يعثر على طبيب يحل محلي..."<sup>(67)</sup>.

ويذكر بفايفر أنه كان الطبيب الوحيد الذي يعالج المرضى والجرحى في الدور والثكنات عند الاحتلال، وكان يساعده بعض المرضى<sup>(68)</sup>، ولهذا خاطبه الوزير قائلا - بعد أن أخبره بكثرة الجرحى-: "نظرا لأننا ليس لدينا أطباء فقد طلب مني الباشا أن أرسلك إلى الثكنات التي حمل الجرحى إليها، وإني على يقين من أنك لن تبخل على أولئك المساكين بمساعدتك"، ووعده بالمكافأة عند انتهاء المعركة، فأجاب بفايفر طلبه مشروطا عليه ضمان حريته له، فرد عليه الوزير في الحال بقوله: "أنت حر، وسوف أكافئك مكافأة السلطان، إن أنت اعتنيت بالجرحى عناية كاملة"<sup>(69)</sup>.

#### خاتمة:

من خلال ما سبق يتبين أننا لا نستطيع أن نتجاهل آراء الكتاب الأوربيين القائلين بتدهور الطب في الجزائر خلال العهد العثماني سيما وأن فيها عدد من الكتاب الموضوعيين، ومع معاضدة بعض الكتابات المحلية لآرائهم، بل أن الواقع نفسه يعضدها من قلة عدد الأطباء والمرافق الطبية، ولكن حسبنا أن نشير إلى أن بعضها يحمل مبالغة واضحة، كما أن هؤلاء الرحالة أتوا من عالم متقدم بعد عصر النهضة، فطبعي أن يرو الطب في الجزائر بذلك التدهور لمقارنتهم له بما في بلدانهم.

الحقيقة التي لا سبيل من الاعتراف بها وإنكارها أن عدد الأطباء في الجزائر كان قليلا، بالإضافة إلى كونهم أقل كفاءة من الأطباء الأوربيين، وهذا ما جعل رجال الدولة يلجأون إلى هؤلاء، ولكن عدم وجود أطباء جزائريين متخرجين من مدارس طبية، لا ينفي وجود بعض الأطباء التقليديين المهرة، والمداوين أو أطباء الأعشاب ممن مارسوا مهنة الطب وبعضهم ورثها عن آبائهم بل أن بعض المصادر الأوربية نفسها تشير إلى نجاعة بعض الطرق التي كان يستخدمها بعض المداوين الجزائريين في العلاج.

#### الهوامش:

- (1) ناصر الدين سعيدوني، مقدمة دراسته لرحلة هابنسترايت. ص: 11.
- (2) قضي هلتون سامبسون (Hilton Sompson) أربع سنوات بالجزائر، وله كتاب بعنوان "A study of the Healing art in Algeria".
- (3) عبد القادر علي حليمي، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830. بدون دار طبع، (ط1)، 1972. ص: 274.
- (4) وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824م)، تقدم وترجمة: إسماعيل العربي.

L'Abbé Poirer, Lettres de barbarie, p : 134.(5)

(6) رحلة العالم الألماني: ج. أو. هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ / 1732م)، ترجمة وتقدم وتعليق:

ناصر الدين سعيدوني. تونس: دار الغرب الإسلامي. (ط1)، 2008. ص: 77.

(7) يعرف حمدان خوجة، سكان السهول بأنهم " أهل الصحراء الرملية وأهل التل ساكني الجبال الصغيرة القليلة

الارتفاع " . المرأة، تعريب: محمد العربي الزبيري. الجزائر منشورات Aneq، 2005. ص: 31.

(8) حمدان خوجة، المصدر نفسه. ص: 36.

(9) كان الدكتور شو كاهنا بالوكالة الإنجليزية في الجزائر من عام 1720م إلى 1732م، وزار العديد من الأقطار

الإسلامية كالحجاز، مصر، تونس المغرب الأقصى، واستطاع أن يقدم عملا بعنوان: "جولات في ولايات

متعددة ببلاد البربر والشرق"، ترجم إلى الفرنسية، ونشر الجزء الخاص بالجزائر تحت عناوين مختلفة منها :

"Voyage de Monsieur Shaw dans la régence D'Alger" و"الجزائر قبل قرن من الاحتلال

الفرنسي". عميرايو حميدة، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر. الجزائر: دار الهدى، 2003. ص: 9.

10) Shaw, L 'Algérie un siècle avant l'occupation française (Au 18<sup>e</sup> siècle), témoignage de Shaw. Traduit par : J. Mac. Carthy .Paris: Editions Imprimerie de Carthage. (2<sup>e</sup>éd), 1968. p:48.

11) Ibid,p :51

12) Laugier de Tassy, Histoire du royaume l'Alger .Paris : Editions Loysel, 1992. p: 82.

13) Shaw,Op-cit. p:47.

14) ناصر الدين سعيدوني، في تعليق له في رحلة هابنسترايت، هامش: 1، ص: 23،

15) فوزية لزغم، الإنجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية. الجزائر: دار سنحاق الدين، (ط1)، 2010 ص: 68.

16) عبد الرزاق بن حمادوش، لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب وال حال أو «رحلة ابن حمادوش»، تح: أبو

القاسم سعد الله. الجزائر: المؤسسة الجزائرية للفنون المطبعية، 1983. ص: 71.

17) فوزية لزغم، المرجع السابق. ص: 71، 72.

18) من مؤلفات ابن حمادوش في الطب: "الجواهر المكنون من بحر القانون" وهو في أربعة كتب، من أشهرها الجزء

الرابع وهو بعنوان "كشف الرموز"، ومن كتبه أيضا "تعديل المزاج بسبب قوانين العلاج". ينظر: Lucien

Leclerc, histoire de la médecine Arabe. Paris : Ernest Leroux, Editeur, 1876.

tome : 1, p, p : 308, 309.

- 19) أبو القاسم سعد الله، الطبيب الرحالة ابن حمادوش حياته وآثاره. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية. 1982. ص: 40.
- 20) أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، نفس الموضوع.
- 21) ألف الأول منهما عام 1116هـ كتابا بعنوان " إعلام أهل القرية في الأدوية الصحيحة"، كما ألف عام 1132هـ كتاب بعنوان " مبين المسارب في الأكل والطب مع المشارب"، أما الثاني منهما فقد ألف كتابا بعنوان: " المنافع البينة وما يصلح بالأربعة أزمنة". ينظر: فلة موساوي القشاعي، الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي (1518-1871م)، أطروحة دكتوراه دولة، غير منشورة في " التاريخ الحديث والمعاصر". جامعة الجزائر، 2003-2004. ص - ص: 193-195.
- 22) فلة القشاعي، المرجع نفسه. ص: 241.
- 23) مصطفى بن حموش، مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها من خلال مخطوط ديفولكس والوثائق العثمانية. الجزائر: شركة دار الأمة، للطباعة والنشر والتوزيع. الجزائر، 2010. ص: 148.
- 24) هابنسترايت، المصدر السابق. ص: 77.
- 25) غادر الداوي علي خوجة قصره واستقر بالقصبة نتيجة تخوفه من الوباء، كما قام بطرد الطبيب الإسباني أساني. ولم يشفع في الطبيب الفرنسي توسال ( Dr Tousel ) الذي أرغم على مغادرة الأيالة الجزائرية. فلة قشاعي، المرجع السابق. ص، ص: 240، 241.
- 26) رسالة رقم 43، ضمن المجموع رقم: 1641- المكتبة الوطنية الجزائرية؛ وينظر أيضا: خليفة حماش، كشف الوثائق عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين بالجزائر وتونس. ضمن المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية. زغوان: منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات. ع: 13، 14. أكتوبر 1996. ص: 314.
- 27) يعرف هابنسترايت القرش بأنها: " تعتبر أصغر نقود الجزائر، والتي لها نفس قيمة الريالات الفرنسية القديمة (Écus)...". هابنسترايت. المصدر السابق. ص: 77.
- 28) سلم هذا الكيس لأحد المنتصرين في مباراة بين جندين تركيين، وكانت تنظم هذا النوع من المباريات في مدينة الجزائر بمناسبة العيد الأضحى. هابنسترايت. المصدر السابق. ص - ص: 77-80.

29) L'Abbé Poiret, Op -cit . P 133

30) Ibid . pp: 94,95.

31) من خلال قراءتنا لرحلة هابنسترايت تتضح موضوعية صاحبها، وهو الأمر الذي وقف عليه مترجم الرحلة الدكتور ناصر الدين سعيدوني.

32) كان الجزائريون " يحملون نظرة جيدة عن كفاءة الأطباء النصارى في هذا الشأن، ويدعوهم بالعلماء تعبيرا عن التقدير الخاص الذي يحضون به لديهم...". هابنسترايت، المصدر السابق. ص: 77.

33) هابنسترايت، المصدر السابق. ص: 23.

34) لغة الفرنكا هي خليط من لغات شعوب البحر المتوسط.

35) ناصر الدين سعيدوني، في تعليق له في هامش رقم: 1، رحلة هابنسترايت. ص: 23.

36) كانكارت، مذكرات أسير الداي كانكارت قنصل أمريكا في المغرب، تر: إسماعيل العربي. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1982. ص- ص: 116-118.

37) هذه الرسائل ضمن المجموعة رقم 1641 بالملكية الوطنية الجزائرية.

38) الرسائل رقم: 53، 50، 75، 84، ضمن المجموع رقم: 1641

39) رسالة رقم 90، ضمن المجموع رقم: 1641 ؛ وينظر أيضا: خليفة حماش، المرجع السابق، ص: 317.

40) علي باي شيخ منطقة المعزولة ابن الشيخ عبد الله تولى المنصب عام 1785م، وظل به إلى أن عزل منه عام 1793.

41) الرسائل رقم: 85، 96، 107، 109، 113 ضمن المجموع رقم: 1641.

42) الرسالة رقم 66، ضمن المجموع 1641.

43) هابنسترايت، المصدر السابق. ص: 47.

44) الرسالة الأولى من محمد باي وهي برقم 50 ضمن المجموع رقم 1903 بالملكية الوطنية. والرسالة الثانية من الرئيس دحمان في القل وهي تحت رقم 2 من المجموع رقم 3206.

45) عين هابنسترايت ( ت 1757م) بعد عودته إلى أوربا أستاذًا للطب في لايبزيغ. هابنسترايت، المصدر السابق. ص: 23.

46) هابنسترايت، المصدر نفسه، ص: 25.

47) ناصر الدين سعيدوني، في مقدمة دراسته لرحلة هابنسترايت، ص- ص: 13-16.

48) هابنسترايت، المصدر السابق. ص، ص: 21، 22.

49) هابنسترايت، المصدر نفسه. ص: 23، 24.

50) هابنسترايت، المصدر نفسه. ص: 53.

- 51) هابنسترايت، المصدر نفسه. ص: 77.
- 52) هابنسترايت، المصدر نفسه. ص: 53، 54.
- 53) يصف هابنسترايت اتصال السكان به بدون مبالغة، ووصفه يختلف عن وصف القسيس لابي بوارى. هابنسترايت، المصدر السابق. ص: 56، 57.
- 54) هابنسترايت، المصدر نفسه. ص: 57، 58.
- 55) هابنسترايت، المصدر نفسه. ص: 83.
- 56) هابنسترايت، المصدر نفسه. ص: 42.
- 57) Laugier de Tassy, Op-cit. p: 82
- 58) Albert De Voulx, Tachrifat. Alger : Imprimerie de Gouvernement, 1852. p: 90.
- 59) هابنسترايت، المصدر السابق. ص- ص: 39-40.
- 60) منهم الجراح جيورجي دزانكري (Georgy Dzankari)، وخواكينو كارديرو (Juaquino Cardéro)، وسيمون بيدرو (Simon Pedro). ولويس جوزيف (Louis Joseph)، وجوزيف أليدا (Joseph Alida)، وخوان كارديرو (Juan Cardéro). مواضع متفرقة من كتاب التشريفات الصفحات: 88، 89، 94، 97.
- 61) De Voulx, Op -cit . p:92 ; 98.
- 62) -سيمون بفايفر، مذكرات أو نسخة تاريخية عن الجزائر، تقلد وتعريب: أبو العيد دودو. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974. ص- ص: 3-5.
- 63) بفايفر، المصدر نفسه، ص: 91.
- 64) بفايفر، المصدر نفسه. ص: 25.
- 65) بفايفر، المصدر نفسه. ص- ص: 26-29.
- 66) بفايفر، المصدر نفسه. ص: 48، 51.
- 67) بفايفر، المصدر نفسه. ص: 54.
- 68) بفايفر، المصدر نفسه. صفحات متفرقة: ص: 7، ص: 104، ص: 88.
- 69) بفايفر، المصدر نفسه. ص: 86-87.

## قائمة المصادر والمراجع باللغة العربية:

المخطوطات: المجموع رقم: 1641- المكتبة الوطنية الجزائرية.

### المصادر:

- بفايفر سيمون، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تقدم وتعرّيب: أبو العيد دودو. الجزائر: الشركة الوطنية النشر والتوزيع، 1974. ص - ص: 3 5.
- بن حمادوش عبد الرزاق ، لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال أو « رحلة ابن حمادوش »،  
نح: أبو القاسم سعد الله. الجزائر: المؤسسة الجزائرية للفنون المطبعية، 1983.
- حمدان خوجة ، المرأة، تعريب: محمد العربي الزبيري. الجزائر منشورات Anep، 2005. ص: 31.
- شالر وليام ، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر ( 1816- 1824م)، تقدم وترجمة: إسماعيل العربي. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982.
- هابنسترايت، رحلة العالم الألماني: ج. أو. هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ/ 1732م)،  
ترجمة وتقدم وتعليق: ناصر الدين سعيدوني. تونس: دار الغرب الإسلامي. (ط1)، 2008.
- كاثكارت، مذكرات أسير الداى كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب، تر: إسماعيل العربي. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1982.

## المراجع:

- بن حموش مصطفى أحمد، مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها من خلال مخطوط ديفولكس والوثائق العثمانية. الجزائر: شركة دار الأمة، للطباعة والنشر والتوزيع. الجزائر، 2010.
- حليمي عبد القادر علي، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830. بدون دار طبع، (ط1)، 1972.
- عميرايي أميدة، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر. الجزائر: دار الهدى، 2003.
- سعد الله أبو القاسم، الطبيب الرحالة ابن حمادوش حياته وآثاره. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية. 1982.
- القشاعي فلة موساوي، الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي (1518-1871م)، أطروحة دكتوراه دولة غير منشورة في " التاريخ الحديث والمعاصر". جامعة الجزائر، 2003-2004.
- لزغم فوزية، الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية. الجزائر: دار سنحاق الدين، (ط1)، 2010.

## المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

- Albert De Voulx, Tachrifat . Alger : Imprimerie de Gouvernement, 1852.
- Shaw, L 'Algérie un siècle avant l'occupation française (Au 18<sup>e</sup> siècle), témoignage de Shaw ,  
Traduit par : J. Mac. Carthy .Paris: Editions Imprimerie de Carthage. (2<sup>e</sup>éd), 1968.
- Laugier de Tassy, Histoire du royaume l'Alger .Paris : Editions Loysel, 1992.
- Lucien Leclerc, histoire de la médecine Arabe. Paris : Ernest Leroux, Editeur, 1876. Tome :1.